لونه لون الزجاجة التي عليها. أمّا العين النيّرة الصافية فلا تبصر غير عالم يغمره النور والصفاء.

لكنّما العين آلة لا أكثر ولا أقلّ. فنحن إذ نتكلّم عن العين إنّما نعني الفكر الذي ينظر من خلال العين، ونعني القلب الذي من وراء الفكر. إذن لا بدّ لنا قبل أن نجلو العين من أن نجلو الفكر والقلب.

وكيف لنا أن نجلو الفكر والقلب، وبماذا نجلوهما؟

يسلك الحيوان سبيله في الحياة على هدي الغريزة. فهو بالغريزة يأكل ويشرب. وبالغريزة يتناسل ويتكاثر. وبالغريزة يقاوم أمراضه وأعداءه ويهرب من الأوجاع والأخطار. فالغريزة هي النور الذي يستنير به الحيوان.

أمّا الإنسان فله فوق نور الغريزة نور الفكر والخيال والوجدان. وهو حديث العهد بذلك النور فما أتقن استعماله بعد، ولا أتقن السير على هديه. لذلك يستسهل السير على هدي الغريزة إذ لا يلاقي فيه من المشقة ما يلاقيه في السير على هدي الفكر والوجدان. ولكن فكره ما استيقظ ليعود فينام. وكذلك وجدانه وخياله. وهذه الثلاثة تعمل بغير انقطاع، منفردةً ومتحدة، على تحرير الإنسان من ربقة الغرائز الحيوانية والسموّ به إلى حيث يصبح حريّاً بالميراث المعدّ له منذ الأزل ـ ألا وهو الألوهة. أما قيل ـ وما